30-09-2013

الشيخ جمال الدين سيروان

كتاب الحدود - حد الزنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وشفيعنا وقرة أعيننا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم اغفر لنا ذنوبنا أجمعين وتولنا برحمتك إنك أنت أكرم الأكرمين، اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة، وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السنة، وارزقنا صدق التوكل عليك وحسن الظن بك مشروعًا بعواف الدارين، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم برحمتك عُمّنا، واكفنا اللهم شر ما أهمنا وأغمنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة جمعًا توفنا، نلقاك يا مولانا وأنت راضٍ عنا، وإلى غيرك لا تكِلنا، ومن شرور خلقك وشرور أنفسنا سلمنا، اللهم يا رب الأرباب يا مجري السحاب يا هازم الأحزاب يا منزل الكتاب نسألك اللهم وأنت الله لا اله إلا أنت سبحانك أنت مالك الملك، سبحانك أنت مُقدّر الأمر، سبحانك أنت القهار أنت الجبار، سبحانك أنت الذي تكوِّر الليل على النهار، نسألك اللهم يا ربنا أن تكون على أعداء الإسلام، اللهم شتت شملهم فرّق جمعهم أقلل عددهم اجعل بأسهم بينهم، اللهم دمرهم تدميرا، اللهم دمرهم تدميرا، اللهم دمرهم تدميرا أفسد يا ربنا عليهم تدبيرهم واجعل تدبيرهم تدميرهم بقدرتك يا رب العالمين، اللهم إنا عبادك الضعفاء لجأوا إليك نسألك يا ربنا أن تحمي إخواننا أهل الشام، اللهم احفظهم بحفظك واكلأهم بكلاءتك، اللهم أنزل عليهم من لدنك نصرًا مؤزرا، وفرجًا قريبا ومخرجًا عاجلا، اللهم يا ربنا إنا نسألك أن تسدد رأيهم، وأن تحفظهم وأن تحفظ نصرتهم بقدرتك يا رب العالمين، اللهم عليك بأعدائهم اللهم إنا نسألك أن ترينا عجائب قدرتك في نصر هؤلاء المؤمنين، وفي إضعاف أولئك العتاة المستكبرين، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، نسألك اللهم بالأيامى واليتامى والأرامل والضعفاء والمساكين أن تكون يا ربنا معهم وأن تحفظهم بحفظك وأن تكلأهم برعايتك يا أكرم الأكرمين إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير، اغفر اللهم لنا ولآبائنا ولأمهاتنا ولأزواجنا ولأولادنا ولذرارينا ولأشياخنا ولذوي الحقوق علينا ولإخواننا الحاضرين والغائبين ووالديهم وللمسلمين أجمعين، وصلِّ وسلم على صفوة خلقك سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

أحبتي الكرام، عودًا إلى منهج الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، عودًا إلى أقواله الشريفة، عودًا إلى منهجه الحق، عودًا إلى أقواله الصدق صلى الله وسلم وبارك عليه، نتفيأ أقواله ونتفيأ ظلالها، في وقتٍ نرى فيه الأزمات تستفحل، ونرى فيه المصائب تكثر، ومع ذلك فلنا في حبيبنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم تلك الدَّوحة التي نأنس بها، وتلك الروح التي تنداح من خلالها في أعماقنا تلك المعاني الجليلة التي رسّخها ﷺ في أمته، وبأن هذه الأمة أمة محميةٌ مرحومةٌ متابٌ عليها، لا بد إلا أن يكون فيها خيرٌ قائم إلى قيام الساعة، حيث حفظ الله تعالى الكتاب، وحفظ من خلال الكتاب الأمة، ولذلك لئن كانت هذه المحنة التي تمر بنا وما مرت في التاريخ، ما مر في التاريخ محنةٌ تساوي المحنة التي قامت على أهل الشام في هذا الزمن، محنةٌ اشتد أُوارُها، وعظم شأنها، ولكنّها مع ذلك فإنها قد حررت نفوس البشر جميعًا، وأطلعت الخلق على ذلك السواد المستَكِنّ في الأعماق، والذي كان يستوي ورقةٍ من التوت مزيفة إنما كُشِف اليوم النقاب، فرأينا الواقع الذي لا يحتاج إلى كثيرٍ من البحث وإلى عميقٍ من التحليل، فرأينا بأن عالَمًا قد زوّر عليه الجهل كثيرًا من الحقائق، فإذا به يرى بأن الباطل حقًا وأن الحق باطلا، وأن الظلم عدل وأن العدل ظلما، يرى الشعوب التي تريد أن تتأهب لئن تأخذ حقها، وأن تستعيد ما أعطاها الله تعالى من كرامتها ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾. نرى بأن تواطئات عالمية قامت من خلال إعلام فاجرٍ من خلال دجاجلة ذكر عنهم رسول الله ﷺ، فلقد قال عليه الصلاة والسلام: "إن بين يدي الدجّال دجاجلة" وقال: "إن بين يدي الدجال سبعة وعشرين دجالا" ألا ترون دجالًا يضع على رأسه عِمّة، ويُحسِن الكلام، ويختل الدنيا بالدين، ويجعل هذا اللباس بغية أن يزوِّر حقيقة المؤمنين، أمَا رأيتم وقد ذكرت لكم حديث الرسول ﷺ، بأنه سيكون زمانٌ يخرج فيه ناسٌ يختلون فيه الدنيا بالدين، ويلبسون جلود الضأن من

اللين، فالله تعالى يقول: أعليّ يجترئون أم بي يغترون، فبي حلفت لأتيحنَّ عليهم فتنةً تدع الحليم فيهم حيران. أي إنَّ الله سبحانه وتعالى لما يجعل هذه الفتنة التي يقف فيها الإنسان بمفرده حيران، وأنا اقرأ أنَّ حيران إنما كان مفردًا، لم يقل حيارى ولم يقل الحُلماء، إنما قال الحليم، كأن الأمر يقتضي أن الفتنة من عظمتها ومن شدتها، ينبغي أن يجتمع لها الحُلماء، وأن يكتنف فيها العلماء، وأن تتضافر فيها الجهود، وأن يكثر فيها التحليل، وأن تجتمع فيها قوى الأمة، لأن هذه القضية قضيةٌ من المهمة ما لا يستطيع فردٌ ولا أفرادٌ التصدي لها، إذن لا بد من أن يُجمع أمر الأمة حتى تتصدى لهذه المحنة، هذه المحنة تستدعي أن يقوم جميع أفراد الأمة بمقتضى طاقاتهم وإمكاناتهم لأجل أن يقفوا تجاهها، أما نرى مزوّرًا يقف ليقول وعلى شاشة تلفازٍ، بعمةٍ سوداء، كوجهه القبيح الأسود، لأجل أن يقول إننا سنقاتل هؤلاء الذين أرسلتهم أمريكا وإسرائيل، أمَا رأيتموهم وإسرائيل تقصف بلادنا، تقصف أسلحتنا التي دفعناها من دمائنا، من عَرَقِ أبنائنا، تقصفه إسرائيل وتعينهم علينا، لأنهم إنما كانوا في صفٍ واحد، فهم يمضون في هذا الدرب على دربٍ واحد، كذلك شأنهم، كذلك شأن المنافقين، وقد ذكرت لكم سابقًا بأن الله سبحانه وتعالى يوم خاطب النبي عليه الصلاة والسلام بيا أيها الرسول ما خاطبه إلا في آيتين اثنتين فقط، بينما خاطبه بيا أيها النبي في آياتٍ كثيرة، ذلكم أن الرسالة رسالةٌ لا يمكن أن يكون بعدها رسالة، فإنه كما قال لكم النبي عليه الصلاة والسلام "لا نبي بعدي" فما في نبي بعد النبي ﷺ، معنى ذلك أنكم أنتم أُمناء على هذه الرسالة الإسلامية، أنتم الأُمناء، فلما لم يكن نبيٌ بعد رسول الله ﷺ، إذن من يحمي رسالة الله التي جعلها في الأرض خالدة إلى قيام الساعة؟ من ذا الذي كُلِّف بحملها؟ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. فأنتم أمناء الله تعالى بعد رسوله الأعظم ﷺ لحمل هذه الرسالة، ولأجل أن تقوموا أنتم بأداء الأمانة، وقد قام أهل الشام بأداء الأمانة، هنيئًا لكم يا أهل الشام، هنيئًا لكم يا من اتخذكم الله تعالى شهداء، هنيئًا لكم يا أيها المصابرون ويا أيها الأولياء، هؤلاء هم أولياء الله تعالى، إذا أردت أن تعرف من هم أولياء الله، هم هؤلاء الذين تصدّوا للمحنة فقالوا نحن لها نحن، الذين وُكّلنا من الله تعالى على أن نحرس هذا الدين، وعلى أن نقيم حرية الإنسان في العالم، كذلكم كان أهل الشام فلذلك يا أحبتي الكرام لمّا يقول النبي عليه الصلاة والسلام "تدع الحليم حيران" أي ينبغي أن يجتمع الحُلماء، لأنها إن دعت الحليم حيران، ومعنى ذلك أن الأمر قد انتهى بالمكان والزمان والإنسان، فهذا يتناقض مع بقاء القرآن، فالقرآن طالما أنه باق، فلا بد إلا أن تبقى أمته، إذن إذا حار حليمٌ فلا يحار الحُلماء، لأن الحُلماء يمكن أن يجدوا لأنفسهم مخرجا، وإذا اجتمعت كما قال النبي ﷺ في الحديث: "يد الله مع الجماعة، يد الله على الجماعة" إذن إذا اجتمع العلماء جماعةً فيد الله معهم، ويد الله عليهم إنما ترعاهم وتحيطهم، وإنما تؤازرهم وتساعدهم، ولذلك النبي ﷺ قال له ربه جل وعز: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾. إذن إن الجماعة المؤمنة التي جعل الله لها أن تكتنف فيما بينها، أن يتوحد أمرها، أن يُجمَع صفها، وأن تكون صفًا واحدا، وأنزل الله علينا سورة سماها سورة الصف، سورة الصف لأجل أن يكون المؤمنون ملتحمين، وخاصةً في وقت الأزمات ووقت المحن، في وقت الأزمات يُرجِف المنافقون، ويتسلل لِواذًا كثيرٌ من أولئك المُرجِفين، الذين يريدون أن يفرقوا صفا، والذين يريدون أن يُظهِروا حقًا في باطنهم الذي يكتنفونه في أعماقهم، هنا يأتي الأمر الذي يظهر من خلاله صفاء هؤلاء البشر الذين انتخبتهم عناية الله ليقوموا بأداء هذه المهمة، إذن يا أهل الشام لا تيأسوا، يا أهل الشام لا تبأسوا، ولكن هل يكون هذا بمجرد موعظةٍ ووعدٍ، وأن نكون نحن من المتكاسلين المتثاقلين؟ أم ينبغي أن نكون من العاملين الجادين؟ إن كانت هذه المحنة يقف فيها الإنسان حيران، ولكنْ يقف فيها الحُلماء أيضًا أمام أزمةٍ خطيرة قد يحارون فيها، إلا أن يهديهم الله رشدهم، وإلا أن يعطيهم الله تعالى دربهم، وإلا أن ينوّر الله سبيلهم، لكن يحتاج الأمر إلى إعداد بعدةٍ، وإلى قيامٍ بمسؤوليةٍ، وإلى إحساسٍ بما يعانيه أهلكم، فأهلكم يعانون الرعب، يعانون الفزع، يعانون الخوف، يعانون الجوع، يعانون المرض، يعانون ذلك كله، فأين نحن من ذلك؟ هل قامت فينا تلك الأحاسيس وهاتيكم المشاعر التي تتأجج في الأعماق، وتتهيج لأجل أن تنطلق في الآفاق، بغية أن تحقق أمرا وأن تنجز شأنا، أم أن الأمر ينطوي على ما تقرأونه في هذه الوسائل من كثيرٍ من التعبيرات الأليمة، أنه كُفّوا يا أيها الناس عن كلامٍ كُفّوا عن عواطف، نريد أن يكون هناك من يكون معنا في الصف، وأن يلتحم معنا في المعركة، ولا نريد أن يكون هناك توصيف لها، فإذن يا أيها الأخوة الأحبة إنما أناشد فيكم رؤوسًا عاقلة وآذانًا واعية، لأجل أن نحملها مهمة، فليست القضية مجرد أن نتبادل الأحاسيس، لأنه لا يُزايد واحد منا على الآخر فيما يحمله من آلام، فكلٌ منا في قلبه من الآلام ومن المشاعر ما يعلمه الله سبحانه وتعالى، ولكنْ المطلوب منا بمعزلٍ عن كمية مشاعرنا، وأن نعرف من هو المتألم أكثر من الآخر ولا يعلم هذا إلا الله، أن نجدَّ في إيجاد طرقٍ توصلنا إلى أن نؤازر وإلى أن نكون مع أولئك الأبرار في معركتهم، التي نسأل الله تعالى أن يجعل لها نهاية قريبةً، ونصرًا مؤزرًا، ومددًا نسأله سبحانه أن يجعله إن شاء الله قريبًا قريبًا قريبًا، وليس على الله بعزيز.

إذن إن جرّنا الحديث إلى الشام، فلا بد إلا أن نقرأ ما يقوله رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام في منهجنا، صحيحٌ قد انقطعنا، ولكن ليس هناك من قطيعةٍ طالما أننا نتفيأ ظلال الآيات، ونقرأ أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، لكنا لو عدنا أدراجنا إلى بابِ الباب الخامس في حد الزنا، قال الله تعالى قال الله جل شأنه: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. عن أنس رضي الله عنه، قال: لأحدثنكم حديثًا لا يحدثكموه أحدٌ بعدي، سمعت النبي ﷺ يقول: "مِن أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويظهر الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا، ويقلَّ الرجال، ويكثر النساء، حتى يكون للخمسين امرأة القيِّم الواحد" أعيد الحديث: عن أنس رضي الله عنه، وهو سيدنا أنس بن مالك بن النضر، قال: لأحدثنكم حديثًا لا يحدثكموه أحدٌ بعدي، سمعت النبي ﷺ، يقول: "من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا، ويقل الرجال، ويكثر النساء حتى يكون للخمسين امرأة القيِّم الواحد"

وعن سهلٍ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "من توكّل لما بين رجليه وما بين لحييه توكّلت له بالجنة" رواهما البخاري والترمذي.

عن زيد بن خالد الجُهني رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يأمر فيمن زنا ولم يحصن جلد مئة وتغريب عام. رواه البخاري والنسائي.

وعنه، أن رجلًا أعرابيًا أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم وهو أفقه منه: نَعم فاقضِ بيننا بكتاب الله، وأذَن لي فأذِن له رسول الله ﷺ، قال: إن ابني كان عسيفًا على هذا، فزنى بامرأته وإني أُخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمئة شاة ووليدة، وسألت أهل العلم فأخبروني أنما على ابني جلد مئةٍ وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ: "لأقضينَّ بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم رَدّ وعلى ابنك جلد مئةٍ وتغريب عام، واغدُ يا أُنيس إلى امرأةِ هذا فإن اعترفت فارجمها" فغدى عليها فاعترفت، فرجمها. رواه الخمسة.

عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ، قال: "خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهنَّ سبيلا، البِكرُ بالبكرِ جلدُ مئةٍ ونفي سنة، والثيِّبُ بالثيّبِ جلدُ مئِة والرجم" رواه مسلم وأبو داوود والترمذي.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال عمر رضي الله عنه وهو على منبر رسول الله ﷺ: إنَّ الله قد بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أُنزِل عليه آية الرجم، قرأناها، ووعيناها، وعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان، أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضل بترك فريضة أنزلها الله، وإنّ الرجم في كتاب الله حقٌّ على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البيّنة، أو كان الحَبَل، أو الاعتراف. رواه الخمسة.

وجاء ماعز الأسلمي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ، فقال: إنه قد زنا، فأعرض عنه، ثم جاء من شِقه الآخر، فقال: إنه زنا، فأعرض عنه، ثم جاء من شِقه الآخر، فقال إنه قد زنا، فأمر به في الرابعة فأُخرِج إلى الحَرّة فرُجِم بالحجارة، فلما وجد مس الحجارة فرَّ يشتد فلقيه رجل معه لحيُ جملٍ فضربه به وضربه الناس حتى مات، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: "هلا تركتموه" وفي رواية قال له: "أبك جنونٌ" قال: لا. وفي أخرى: "لعلك قبّلت، أو غمزت، أو نظرت" قال: لا. قال: "أحصنت؟" قال: نعم. فأمر برجمه. وفي رواية فاختلفت فيه الصحابة، فقال رسول الله ﷺ: "لقد تاب توبةً لو قُسِمت بين أمةٍ لوسِعتهم" رواه الخمسة ولفظه للترمذي.

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أوتي بيهودي ويهوديةٍ قد زنيا إلى النبي ﷺ فانطلق إلى يهود، فقال: "ما تجدون في التوراة على من زنى؟" قالوا: نسوِّد وجوههما ونُحمِّلُهما، ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما، قال: "فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين" فأتوا بها فقرأوها، حتى إذا جاءت آية الرجم، سترها الذي يقرأ بيده، وقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال عبد الله بن سلام وهو مع النبي ﷺ: امُرْهُ فليرفع يده فرفعها، فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجِما، قال ابن عمر: كنت في من رجمهما، ورأيت الرجل يقي المرأة من الحجارة بنفسه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "إذا زَنت الأمَةُ فتبين زناها فليجلدها ولا يثرِّب، ثم إن زنت فليجلدها ولا يثرِّب، ثم إن زنت الثالثة فليبعها ولو بحبلٍ من شعر" رواهما الخمسة. نسأل الله الستر والتوفيق لما يحب ويرضى آمين.

طيب رحلة تحتاج إلى شيءٍ من التأني، وإلى دقيقٍ من البحثِ، وإلى بحثٍ يمكن من خلاله أن نعيش معاني الحدود في الإسلام، ولقد سبق أن قلت لكم لما كنت أتحدث عن الحدود، بأن الحدود في الإسلام إنما هي زواجر وجوابر كما يقول العلماء، فالحدود زواجر، والحدود جوابر، فالحدود لتزجر بعضًا من مرضى النفوس عن أن تطَأ نفوسهم المعاصي، وجوابر تجبو لمن عصى ذنبه عند الله تعالى كما سمعتم عن ماعز، فإذن الحدود إنما جاءت تربيةً نفسية وإعدادًا اجتماعيًا لأُمةٍ ينبغي أن تقي نفسها من الانحدار في تلك السوءات، هكذا جاءت الحدود، ما جاءت الحدود في الإسلام انتقامًا ولا تشفيًا، بل جاءت الحدود بعد استكمال الشروط، ولم تأتِ الحدود في مبتدأ الأمور، ولذلك نرى بأن تنزيلات الحق سبحانه، لما نزّل الحدود في الإسلام جميعها، جميع الحدود لم تُنزَّل أحكامها إلا بعد أن اكتملت قضية الدولة الإسلامية، وبعد أن اكتمل شأنها في الأمن، وشأنها في الإطعام، وشأنها في الإسعاف، فلما اكتملت هذه الدولة أنزل الله تعالى الأحكام، صحيحٌ أن القرآن نُزِّل جملة واحدة من السماء من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ونُزِّل بعد ذلك هذا القرآن منجّمًا على النبي ﷺ، لِما أنزله الله مُنجّمًا؟ لسُنة التدرج، ولفقه المعاملة بأن هذا الدين ما جاء لأجل أن يسلخ جلود الناس، إنما جاء لأجل أن يقيهم حر النار في الدنيا وفي الآخرة على حدٍ سواء، ومن هنا ذكرت لكم بأن عمر رضي الله تعالى عنه يوم لم تكن البيئة الراعية للإنسان تحميه من أن ينزلق في خطر السرقة، إذا به وجد بأن حد السرقة لم يبلغ مقصده الشرعي، فلذلك لا يُنزَّل ذلك الحد، ما نُزِّل الحد الشرعي في عهد عمر، لا على أن عمر أبطل ذلك الحد، لأن من أبطل حدًّا من حدود الله فإما أن يدور مع الحرام وإما أن يدور مع الكفر، لأن من أنكر حدًا أنزله الله فهو كافر، ومن عطّل حدًا فقد ارتكب موبقة من الموبقات، فهل يُتهم عمر بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بأحد هاتين الشنيعتين؟ حاشى لله، إذن عمر رضي الله عنه بفقهه الأعظم ونظره الأسلم، رأى بأن هذا الحد لم يستكمل شروطه، ولم يستكمل آليات تنفيذه، إذ تنفيذه لا يمكن أن يكون في بيئة انتشرت فيها مجاعةٌ، وعُطِّلت فيها أرزاقٌ، وصار الناس بمسيس الحاجة إلى الطعام والشراب، وقام بعضٌ من تجار الحروب تجار الأزمات في تجار أزمات، فلم يعطوهم أجورهم، فإذن سيدنا عمر إنما حذر أولئك الذين لم يعطوا الأجور إن لم تُعطوهم أجورهم وتوسعوا عليهم في وقت الأزمات، فسأجلدكم أنتم، إذن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فَقِهَ قضية الحدود، ومن هنا نقول للذين يريدون اليوم أن يأتوا إلى ما يسمى بالهجوم على الإسلام، ماذا يقولون أولًا؟ يا أخي هذا الإسلام متخلف، أول شيء يريد أن يرجم الزاني، وأن يقطع يد السارق، وأن يقيم الحدود في الإسلام ويقتص الرقاب، يا سيدي حدٌ لما يقام كما قال النبي ﷺ: "أفضل من أن تُمطَر الأرض أربعين يومًا" حدٌ يقام لماذا؟ لأن إقامة الحد شوف التنفيذ لما بقول النبي عليه الصلاة والسلام "أفضل من تمطر الأرض أربعين يومًا" لأنه هو إقامةٌ لمجتمعٍ نظيف طاهر، المجتمع له أدوات، يعني إقامة المجتمع كيف يكون المجتمع؟ المجتمع فيه أدوات ينبغي جعل الله لنا المكان والزمان والإنسان، فإذا الإنسان مُعطِّل عن استغلال المكان واستغلال الزمان، هل يمكن أن تُقام حضارة؟ لذلك لا بد من أن يكون هناك تكاتف ما بين هذه العناصر الثلاثة، ما بين الزمان والمكان والإنسان، فالإنسان إذا كان معطِّلًا عن أداء مهمته، بأن كان إنسانًا منحرفًا شاذًا، يُعطل حركة الحياة من خلال استئثاره بالحياة، أو قطعه للطرقات، أو استبداده بالناس، فهذا طاغوت، هذا الطاغوت ينبغي ألا يبقى على الإطلاق، وألا نعطيه الفرصة للبقاء، فإن كان طاغوتًا في الزنا، أو طاغوتًا في السرقة، أو طاغوتًا في الربا، ولذلك النبي ﷺ لما جاء ليقول لنا أنو لما يتحالف الربا لما ينتشر الربا بده ينتشر الزنا، ليه؟ لأنه عطّلنا نحن الإنسان عن أداء دوره، وحجبناه عن أن يكون له فرصة في الزمان والمكان، لأن المُرابين حجبوا بينه وبين استفادته من الزمان والمكان، هؤلاء هم الذين ضيعوا عليه الفرصة، حينئذٍ ينتشر الزنا، لا يجد المال الذي يتزوج به فيزني، لا يجد الفرصة التي يعمل بها فيسرق، فإذن لما تقوم المعاصي تقوم من خلال عدم إيجاد الفرص التي يتكافأ الناس فيها بأن تكون مفتوحةً، فالربا هو تعطيل للفرص، لأن الربا هو الذي يستحوذ فيه المرابون على الفرص، فيأتون للحاكم على السلاح فيستحوذون عليه وهو الذهب والفضة، فلما استحوذوا عليه ماذا أصبحت الحياة؟ معطلة، إذ أن الناس لا يملكون ذهبًا ولا فضة، فأصبحوا يملكون رقاب الناس، فأصبح الناس بأيديهم عبيدًا، واليوم تجدون بأن الشعوب كلها أصبحت رقيقةً لما يسمى البنك الدولي، أليس كذلك؟ لذلك عُطِّلت الفرص، لما تُعطَّل الفرص، حينئذٍ ستقوم كثير من المعاصي والانحرافات، والشذوذات، والجرائم، والمنكرات، حتمًا وبالتأكيد، متى إذن أراد الإسلام أن يقول إنّ هذه الحدود يمكن أن تكون، قلت لكم إنّ الزنا والربا النبي ﷺ، لما قال: "ما فشى الربا والزنا في قومٍ إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله" طيب شو علاقة الربا مع الزنا؟ لأنه الربا لما يفشو تصبح القدرات والإمكانيات والأموال في يد

من؟ بيد زمرة من الناس، وأصبح الناس الآخرون مفتقرين، إذن إذا عُطِّل ذلك ماذا سيفشو في مجتمع الجهل اللي حقول عنه الحديث الآن؟ ماذا سيفشو؟ متى جاء الجهل وأُزيح العلم انتشر من وراء الجهل كل الموبقات، لاحظتم؟ لذلك الحديث هذا اللي نحن الآن بصدده، وأحب أن يعني اقرأه واقرأ معه تبويب الإمام البخاري ثم أعود لحديث الزنا إن شاء الله بأحكامه، الحديث العجيب يلي هو قال سيدنا أنس بن مالك، مَن أنس بن مالك؟ مَن؟ أنس بن مالك بن النضر، صحيح؟ أخوه البراء بن مالك، عمته الرُّبيّع بنت مالك رضي الله تعالى عنها، أنس من أمه؟ أم سليم رضي الله تعالى عنها، ولها مع النبي صلى الله وسلم وبارك عليه رضاعة، ليه؟ من فين بتعرفوا أنه أمه لها كان النبي ﷺ يذهب إلى بيت أم سليم من بعد الضحى فيقيل عندها ﷺ، وهي التي جمعت عَرَقه الشريف صلى الله وسلم وبارك عليه، فكيف بدو يروح لعند امرأة غريبة؟ لا شو امرأة غريبة أنتم تعرفون بأن الرسول صلى الله وسلم وبارك عليه جده من المباشر؟ هو محمد ﷺ ابن عبد الله، هذا أبوه، جده؟ عبد المطلب، وأبو جده هاشم، صحيح؟ أبو جده هاشم، هاشم صاحب الإيلاف ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ﴾. هاشم من أين تزوج؟ تزوج من السيدة سلمى بنت سيد الخزرج، ولما تزوجها تعرفون قصتها طويلة، لكن أحب يعني على الرمزية سريعة، اشترطت عليه ألا ينقلها من دارة أهلها، فقبِل شرطها فبنى بها، فحملت، وذهب في إكمال تجارته، حتى جاء بلاد الشام، ثم جاء غزة، وشاء الله أن يمرض فيها وأن يتوفى في غزة، فهاشمٌ دفين غزة تمام، طيب هذه السيدة أنجبت من؟ عبد المطلب؟ جد الرسول ﷺ فعاش في أكناف أخواله، فلما شبَّ رأى بعضُ أهل قريش فتى ليس كبقية الفتيان، فقالوا له انتسب فانتسب بأنه ابن هاشم، فرجعوا إلى عمه المطلب، عمه المطلب بأن لك ابن أخ، فكيف تتركه عند أخواله؟ فجاء المطلب في قصةٍ طويلةٍ لها روايات، فأخذ ابن اخيه وأعاده معه، فظنوا بأنه قد اشترى عبدًا، فقالوا عبد المطلب، لاحظتم؟ طيب إذن سيدنا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أمه أم سليم، فإذن للنبي ﷺ من أخوال أبي جده هناك من كان له علاقة الرضاع، فكان يذهب إلى أم سليم رضي الله تعالى عنها فيرقد عندها في وقت الضحى، هذا أنس بن مالك رضي الله عنه الذي روى الحديث، النبي ﷺ دعا له بدعوات تعلمونها جميعًا، ماذا دعا له؟ قال خويدِمك أنس ادعُ الله تعالى له، دعا له بأربع دعوات، ما تحفظونها؟ "اللهم أطل عمره، وأكثر ماله، وأكثر ولده، وارزقه الجنة" فعاش رضي الله تعالى عنه حتى بلغ مئةً وعشر سنين في رواية، ومئة وستة سنين في رواية، وتسعة وتسعين سنة في رواية، روايات.. المهم أنه طال به العمر، ومن آخر من مات من الصحابة، وقد ذهب إلى بغداد ومات في بغداد، مات في العراق رضي الله تعالى عنه سيدنا أنس بن مالك، لذلك لما قال لهم هذا الكلام، عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: لأحدثنكم حديثًا لا يحدثكموه أحدٌ بعدي، لأنه لما كان في البصرة هو كان آخر الصحابة الموجودين، إذن ما أحد سيحدثكم بعدي، أنا آخر الصحابة الموجودين، لاحظتم؟ فحتى نعرف أنه ليش لا يحدثهم أحدٌ بعده بهذا الحديث؟ لأنه ليس هناك من الصحابة أحد سمع الحديث وهو موجود على قيد الحياة، قال: لأحدثنكم حديثًا لا يحدثكموه احد بعدي، سمعت النبي ﷺ، يقول: "مِن أشراط الساعة أن يُرفَع العلم، ويظهر الجهل، ويُشرب الخمر، ويظهر الزنا، ويقلَّ الرجال، ويكثر النساء، حتى يكون للخمسين امرأة القيّم الواحد" الإمام البخاري رضي الله تعالى عنه لو رجعتم إلى صحيحه، لوجدتموه رضي الله تعالى عنه يعنون هذا العنوان ويضع زيادةً في هذا البيان -رضي الله تعالى عنه- الإمام البخاري يضع هذا الحديث ضمن عنوان باب رفع العلم وظهور الجهل، باب رفع العلم وظهور الجهل، وهذا من ذكاء الإمام البخاري، ومن عجبٍ أن يقرأ الأحاديث في عناوينها ببُعد نظر وعمق تحليل، ماذا يفعل؟ قبل أن يضع الحديث يضع كلامًا لأحد الأئمة الأعلام من التابعين الكرام وهو سيدنا ربيعة بن فرّوخ، الذي يسمى بربيعة يلقب بربيعة الرأي، ربيعة الرأي من هو؟ هو فقيه المدينة، هو أستاذها، ومحدثها، وشيخها، وهو شيخ الإمام مالك رضي الله تعالى عنه هذا ربيعة، فربيعة لُقِّب بربيعة الرأي لأنه كان صاحب نظرٍ ودقة تحليل، وما كان ينظر للأحاديث أو الآيات كما ينظر الناس، إنما كان يعصف في ذهنه احتمالاتها ومآلاتها ومقاصدها، فقالوا عنه ربيعة ربيعة الرأي رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وهو أستاذ الإمام مالك رضي الله تعالى عنه، فما وُجد بالإمام مالك من العصف الذهني إنما جاء من شيخه الإمام ربيعة رضي الله تعالى عنه، الإمام البخاري قبل أن يضع الحديث لو رجعتوا إلى صحيح البخاري، قبل وضعه الحديث معي أنتو ولا نعستوا؟ انتبهوا، قبل أن يضع الحديث يذكر كلمةً للإمام ربيعة الرأي، يقول: وقال: ربيعة، هو هيك الباب يضعه، باب رفع العلم وظهور الجهل، وقال ربيعة: لا ينبغي لأحدٍ عنده شيء من العلم أن يُضيّع نفسه، لا ينبغي لأحدٍ عنده شيء من العلم أن يضيع نفسه، كأن الإمام ربيعة الرأي فهم أن هذا الحديث إنما هو تحذيرٌ للعلماء، تحذيرٌ للعلماء فعليكم ألا تُضيّعوا ما آتاكم الله في صدوركم، وألا تكتموا ما علّمكم الله تعالى إياه، فأنتم مدار التحقيق في الأمم، فإذا فسدتم بتعطيل العلم وعدم نشره، فاعلموا أن هذه البلايا وتلكم الرزايا ستكون من كتمكم لهذا العلم، وقد ضيّعتم أنفسكم وضيّعتم الأجيال من بعدكم، هذا شيء عجيب الإمام البخاري رضي الله عنه، شيء غريب جدًا أنه بقلك الحديث لما يجعل مقدمة الحديث

كلام ربيعة، أيش علاقة كلام ربيعة بهذه القضية؟ وقال ربيعة: لا ينبغي لأحدٍ عنده شيء من العلم أن يضيّع نفسه. لذلك "مَن كتم علمًا ألجمه الله بلجامٍ من نار" سامعين بقى القضية؟ فلما كتم العلم ماذا سيظهر؟ سيظهر الجهل، لما جاء علماء السوء وعلماء السلطان الذين يَخْتِلون الدنيا بالدين، ويلبسون جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب، أبي يغترون أم عليّ يجترئون، فبي حلفت لأتيحنَّ عليهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران. هؤلاء هم الذين نشروا وأعطوا لهؤلاء المجرمين أن يكونوا والغين في دماء المسلمين، إذن العلم، العلم وكان أولئك الذين كتموا ما أنزل الله من إن شاء الله سنأتي في آخر الأحاديث لمّا نجد بأن هؤلاء علماء بني إسرائيل كيف ستروا الآيات التي أنزلها الله في التوراة، في الأخير سآتي إليها إن شاء الله سنأتي اليها، لكنْ عليكم أن تفكروا تشوفوا القضية الحديث، أنه هذه الفتن أشراط الساعة كأن النبي ﷺ، طبعًا اللي بيقرأوا الحديث أنه خلص يا أخي والله مزبوط لما سمعتوا أنتم الحديث لأول وهلة، ماذا قلتم؟ والله هاد الي صار يا أخي، أنو والله رُفع العلم، وفشى الجهل بالناس، وكثُر والعياذ بالله شرب الخمر، وفشى الزنا، هذا وصلنا لآخر الزمان، ليس هذا هو المقصود، لأنه النبي ﷺ قال بأنه المقصود بأن الساعة "بعثت أنا والساعة كهاتين" صحيحٌ أننا كلما تقدمنا في الزمان قرُبنا من الساعة، لكنْ هذا الحديث يحمل في طياته دعوةً إلى كل عالِم أن يقوم بأمر علمه، فلما قام أبو بكر الصدِّيق بأمر علمه نجّى المسلمين من محنة، قام أبو بكر ونجّى المسلمين بالعلم الذي علمه الله تعالى إياه، والله لأقاتلنّ من يفرّق بين الصلاة والزكاة، ولو أنهم منعوني عِقال بعير لقاتلتهم عليه، قال عمر لمّا نُشِر العلم عنده، وعرف في ذهنه مآلات الأمور، ماذا قال؟ والله ما رأيت إلا أن شرح الله صدري لما شرح صدر أبي بكرٍ له، إذن عمر رضي الله عنه إنما استفاد من علم أبي بكر رضي الله تعالى عنه، ولما بقول لك النبي ﷺ لما بيقول له لسيدنا علي رضي الله عنه، الإسلام مو دين السيف، الإسلام مو دين السِّنان، الإسلام دين اللسان، لأنه النبي ﷺ لما جاء لسيدنا علي رضي الله عنه كما تعلمون هناك في تلك الغزوة التي أُغلِق على النبي فيها النصر، تمام؟ تعرفون تلك الغزوة ولا لا؟ وجاء سيدنا علي رضي الله تعالى عنه وكان عنده الرمد، فماذا قال النبي ﷺ لسيدنا علي بعد أن داوى له عينيه، ومسح على عينيه، وأزال الرمد، وصارت عيناه أقوى مما كانتا، قال له: "يا علي والذي بعثني بالحق لأنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمْر النَّعم" أنت الآن ستقاتل هؤلاء اليهود في حصونهم، وهم الذين قد قاتلونا، وسلبوا أموالنا، وخفروا عهدنا، لكن مع ذلك فإنك إذا مارست أمر الدعوة إلى الله فهدى الله واحدًا من هؤلاء الأشقياء ليصبحوا من الأتقياء، لهو خير لك من حُمْر النَّعم صلى الله وسلم وبارك عليه، خير لك من الدنيا وما فيها، إذن مو الأصل السِّنان، لكنَّ السِّنان مع هؤلاء الأشقياء والشياطين ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾. فينبغي أن تسنّ الأسِنّة في وجوه المجرمين، هؤلاء الذين لا يتركون باب حمص اليوم وهم يقولون إنهم يريدون أن يدافعوا عن السيدة زينب رضي الله تعالى عنها، هؤلاء المجرمون الذين يقتلون أبناءنا ويرملون نساءنا، هؤلاء ينبغي أن نقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾. إذن تُنزَّل النصوص في منزلها، لكنْ هنا بقى القضية أنه في هذا الحديث يقول النبي صلى الله وسلم وبارك عليه أن يُرفع العلم، يُرفع العلم كما قال النبي ﷺ في الحديث: "إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا من صدور العلماء" ما يُرفع العلم بمعنى أنه والله خلص الله سبحانه، شوف يا أخي والله هي من عند الله، خلص ما عاد في حدا يفهم بالعلم، لا أبدًا مادة العلم قائمة وجعلها الله دائمَة إلى قيام الساعة، وبسط كتابه المبين بغية أن يقرأه جميع الناس، لكنْ "يُرفع العلم بقبض العلماء، قبض علماء حتى إذا لم يبقي عالِمًا اتخذ الناس رؤوسًا جُهالًا فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا، إذن ما هو الحل؟ الحل أمران، حتى يبقى العلم ولا يفيض الجهل أمران، أولًا العالِم يمارس دوره ولا يكتم ما أنزل الله، وإنما يقول الحق كما قال علماؤنا على مدار هذه القرون، أنتم رأيتم أنَّ عمر بن عبد العزيز لما أبرز علمه، صحح في الأمة منهجها، وأدارها بسياسة عادلة رشيدة، أنتم رأيتم بأن سيدنا الحسن البصري بن يسار رضي الله تعالى عنه، الذي هو رقيقٌ، وأمه رقيقةٌ، وأبوه رقيق، بتعرفوا أنه أمه خيْرة رضي الله تعالى عنها، أمه خيرة كانت رقيقةً عند سيدتنا أم سلمة، الحسن البصري رضي الله تعالى عنه إنما وُلد في سنة واحد وعشرين هجرية، قبل انتهاء سنتين من خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، وكانت خيْرة رضي الله تعالى عنها رقيقة عند السيدة أم سلمة جارية، وكانت إذا مضت لحاجتها تضع سيدنا الحسن رضي الله تعالى عنه في حضن سيدتنا أم سلمة تعلله حتى ترجع أمه، فليس لها ما تعلله إلا ثديها، فتخرج أم سلمة رضي الله عنها أمنا أم المؤمنين ثديها تعلل به الحسن رضي الله تعالى عنه، فتدر عاطفتها فإذا باللبن ينساب من ثديها، فصار من بيت آل النبوة رضي الله تعالى عنه، هذا الحسن البصري هو الذي كان يأتي إلى بابه الأمراء، ويأتي إلى بابه الملوك، وهو يتأبّى في علمه، ويترفع عن أن يكون مطيّة لأحدٍ منهم، ومن أولئك؟ أولئك أماثل وأفاضل، ومع ذلك فكان العالِم الذي وقف أمام أولئك جميعًا بالنصح وقول الحق رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وهو الذي كان أبوه رقيقًا وأمه رقيقةً، إذن

العلم لمّا يوجد فكل هذه المحن لا تكون، إذن قضية زوال العلم ظهر الجهل، ظهر الجهل ظهرت معه كل قضايا الانحراف، من الفقر، من العَوَز، من الزنا، من الربا، من القمار، انظروا إلى الممارسات، لذلك الخطر الذي الآن نخاف منه نحن في المخيمات هو الفراغ، الفراغ في المخيمات فراغ، وجهل، أبناؤنا ليس عندهم مدارس، والجهل والفراغ ماذا يؤسس؟ إنَّ الفراغ والشباب والجِدى، بس ما في جِدى هنا، فراغ وشباب وفقر هنا، ما في جِدى، في فقر، فلذلك ينبغي لنا أن نُغِذَّ السير، النبي ﷺ بقول لنا الحديث هاد، وكما قلت الإمام البخاري رضي الله تعالى عنه لما يع نون هذا الباب، ولما يأتي بكلام سيدنا ربيعة الرأي يأتي بهذا الكلام إنما يعزز فيه فهم الحديث، بألا يكون الحديث سلبيًا في فهمه، بأنه يا أخي أشراط الساعة ظهرت وخلاص ما عاد في حل، لا الحل موجود، وهو أن نقوم بهذا العلم الذي أمرنا الله تعالى أن نتحلى به، وأن نمضي من خلاله لإصلاح مجتمعنا، ولسدّ الخروق التي قامت في بيئتنا، حين ذلك ربنا سبحانه وتعالى سيفتح لنا آفاق ما كنا نظن أن تفتح لنا على الإطلاق، لأن الله سبحانه وتعالى بيده مقاليد الأمور من أولها إلى آخرها، لذلك لمّا نقول من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، هذا رفع العلم، رفع العلم ألا يمارس العالِم دوره في قول الحق، وألا يمارس العالِم دوره في تعليم العلم، في اثنين، في اثنين، تعليم العلم وقول الحق، فإذا علَّم العالِم العلم "لأنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمْر النَّعم" والله النبي ﷺ يقول لنا في الحديث "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله له به طريقًا إلى الجنة" فإذن العلم بكل أصناف العلم، وليس العلم فقط في القضية الفقهية الطقسية التعبدية، التي ظننا بأنه إذا كان عندنا من يعلم في هذه الطقسيات، الشكليات، التعبُّديات، فقد ضَمِنّا حياتنا، لا وربكم، إن العلم إنما يكون علم ذي القرنين، فعلم ذو القرنين ما كان على الإطلاق اللي ضربه الله عز وجل مثلًا في القرآن، ما كان علم الطقوس، ولا كان علم الوضوء ولا الحيض ولا النفاس، علم ذي القرنين كان علم الهندسة والإبداع، كان علم الصناعة والاختراع، كان علم البناء والحضارة، هكذا كان علم ذي القرنين، وضربه الله مثلًا في علم الأسباب الله سبحانه وتعالى ضرب لنا أمثلة في سورة الكهف أمثلة علماء أعطاهم الله من لدنه علمًا، قيل: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾. هاد لا، ماذا قال الله سبحانه؟ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾. آتيناه مو علّمناه، فرق بين آتيناه وبين علمناه علما، هنيك علم ألهمه الله تعالى إياه فصار يرى أو يعلم ما ستؤول الأمور إليه، هنا أسباب يعني كان يقرأ أسباب المكوَّنات فتحنا ذهنه للقراءة التي هي متاحة لكل عاقل مثله، وهو بقدر ما فتح الله ذهنه بقدر ما بذل من الجهد الجديد لمتابعة المسيرة، فإذن هذا الأمر الذي نقول عنه إنه العلم، اليوم نحن نحتاج لكل هذه العلوم، نحتاج لعلم النفس، ولعلم الاجتماع، ولعلم الطب، ولعلم الهندسة، ولعلم الصناعة، ولعلم الزراعة، اليوم هؤلاء اليهود عليهم لعائن الله ماذا صنعوا في مصر لما كان علمهم علم الزراعة، وراحوا يعطوننا بعضًا من البذور التي بذروها فسببوا أمراض السرطانات في الأمة، مسرطنة، علوم، هذا علم، لذلك لما بقول ربنا سبحانه وتعالى يذكر لنا عن ذي القرنين في إبداعاته العلمية، حين جاء لأولئك الذين كلَّت هممهم وضعفت عزائمهم، فمارس معهم إيه؟ التعليم، كان أستاذًا قوموا يلا حتى تتعلموا، كيف بدنا نتعلم ما بنعرف نحن، تعالوا هنا حتى تتعلموا، وكان متدرجًا في ذلك كان ينفق علمه كان بالدقة البالغة، كان مغرب الشمس اللي قاعدين في المنطقة الغربية من العالم يحتاجون إلى إقامة العدل كانوا فوضى، فماذا أقام فيهم؟ قوانين قضائية وعدل، يعني هذا ذي القرنين كان شيء عجيب، جاء والله عالمشرق هدول الجماعة بسطاء، حفاة عراة، لا يسترون ما عندهم ما يسترون به أجسامهم، رعاهم، أعطاهم، تصدّق عليهم، علّمهم بالقدر الذي يفيهم، راح لنصف الأرض وجد ناس ثانيين، وجد ناس كسالى، ناس عجزة، آتاهم الله تعالى القدرات والإمكانيات، والأموال والطاقات، ولكنّهم مُعطلو الإرادات، ماذا نفخ فيهم؟ روح الحياة، تمام؟ ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾. أعينوني وتعال أعلمكم كيف بدكن تعينوني، كيف نعينك؟ نحن لا نفهم، ولا نعرف، وما تعودنا ذلك، نحن جماعة نأكل ونشرب وننام ما عندنا شيء آخر، وعندنا مال، قال لا أعينوني بقوة، وبقوة كذلك، قوموا انزعوا الكسل ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾. تعالوا تعلمكم كيف يمكن أن تقوم الصناعات، هاتوا الحديد حتى نصهرها ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾. هاتوا لي قطع الحديد حتى نصهرها ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾. قال آتوني أفرغ عليه النحاس أيضًا صب صبة من النحاس، حديد ونحاس صناعة، مفردات صناعية، هذا علم يا شباب، هذا بقولك النبي ﷺ: "أشراط الساعة أن يرفع العلم" المسلمون اليوم رفع العلم عندهم ولا لا؟ رُفع العلم، ظهر الجهل، ظهر الكسل، ظهر العجز، ظهر الخَوَر، ظهر الفقر، ظهر الزنا، ظهر الربا، ظهرت كل الأمراض، فإذن الحديث هذا حديث معجز، لذلك عم يقولك ربيعة الرأي، شو قلك ربيعة الرأي بقلك الإمام البخاري رضي الله عن البخاري، بقول لك باب رفع العلم وظهور الجهل، كيف يرفع العلم؟ "إنّ الله

لا ينتزع العلم انتزاعًا من صدور العلماء، إنما ينتزعه بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جُهّالًا، فسُئِلوا فأفتوا بغير علم" فالآن في عندنا علماء حيض ونفاس، وعلماء بغمضوا بقلولك خلص وصلت لعند الله أنت وصرت بالجنة، هدول مو علماء هدول شذاذ، الإسلام دين الحياة، الإسلام دين الحضارة، الإسلام دين الصناعة، النبي صلى الله وسلم وبارك عليه إنما عليه الصلاة والسلام شاء الله تعالى أن يجعله يرعى الغنم، وأن يقوم بالتجارات صلى الله وسلم وبارك عليه، أصحابه الكرام سيدنا أبو بكر الصدِّيق أول خليفة بعده ماذا كان يعمل؟ بزّازًا رضي الله تعالى عنه، إذن هكذا الحياة، عمر بن الخطاب رضي الله عنه دوَّن الدواوين، أصّل الاقتصاد، أدار الأمة، فتح البلاد، هكذا يمكن أن نفهم العلم، إذن لما يجي العلم لا في جهل، ولا في مرض، ولا في فقر، ولا في انحراف، ولا في زنا، وما في شي إطلاقًا، أما أن نفهم الحديث والله يا أخي وصلنا لآخر الزمان، ونقعد نحن هيك متكاسلين وخلص يعني لا حول ولا قوة إلا بالله، نروح نركع ونصلي ونتعبّد، لا يا سيدي لا، اركع ركعاتك التي علّمك الله إياها وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة لا يمكن لأحد أن يزاود على أحد فيها بالعموم، ممكن يزايد واحد على الثاني بالخصوص بأنه بيعرف أمور جزئية تفصيلية، لكن بالعموم متى عرف حكم الصلاة بعمومه كما عرف ذلك الصحابي الجليل وجاء يسأل الرسول عليه الصلاة والسلام عن أحكام الإسلام الطقسية، أعطاه ياها ﷺ بكم؟ البدوي الي جاء لعند النبي ﷺ ماذا قال عليه الصلاة والسلام "أفلح الأعرابي إن صدق" عن إيه؟ عن علم الطقسيات قال له هدول هنن فرض عليك حميل حالك وامشي، بس هل هذا هو الذي يكفيك؟ لا ما يكفيك إلا الذي جعله الله فيك، وما جعله الله فيك الإمكانيات التي تعلمها، فكل إنسان مسؤول عن الطاقات التي ملّكه الله تعالى إياها، فحذاري يا إخواني من أن نقرأ أحاديث الرسول ﷺ بمعزل عن الوعي الشمولي لفهم هذا الإسلام فهذا الإسلام يحتاج منكم أنتم أنتم أنتم يا شباب الأمة يا رجالها، عم نقول عن شباب الأمة لأنه هدول الختيارية خلص مشي حالن شو بدهم يساوي بدكم أنتوا تشتغلوا الآن، أنتوا بدكن تحملوا الطاقات الآن، بدكن تحملوا الوعي، بدكن تكونوا أنتم في وسط المعارك، في كل معارك الحياة، كل معارك الحياة تحتاج منا أن نكون في أول الصفوف حتى نستطيع أن نتدارك ما فاتنا فيما مضى، فلقد جاءنا زمن إنما عميت فيه أبصارنا عن إدراك الحقائق، نحن لا بد أن نقرأ قرآننا قراءَة منهجيةً، وأن نستدل على مفاهيم رسولنا ﷺ استدلالًا علميًا دقيقًا، فنرى بأنه صلى الله وسلم وبارك عليه دعانا والساعة قامت، فدعانا في حديثه الصحيح: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن يغرسها فليغرسها" فليغرسها، وسبحان الله ما قال والله أنه ركعتين، يعني كان ممكن يقول النبي ﷺ والله لو أنه استطاع يركع الركعة يركعها، شو قال؟ لا الفسيلة، مع أنها لا تفيد، خلص قامت الساعة، وفسيلة متى ستنبت؟ لكنه ﷺ بقولك لا تيأس، أنت ابذل أقصى ما تستطيع من الجهد في الوقت الذي كلَّفك الله تعالى به، ودع ما لله لله، هذا عمل لله هو اللي بده ينبِت مو أنت بتنبِت، وأنت أمرك الله أن تزرع فازرع، أن تصنع فاصنع، أن تعين فأعِن هكذا يوجد في الإسلام، فحينما نفهم الإسلام بهذه المفاهيم والله يا شباب تبدأ فينا إشراقات ذهنية تختلف تمامًا عما كنا متبلدين فيه، متبلدين فيه هل أحد يمكن أن يخفى عليه أثر الذكر لله رب العالمين، وما ذكره رسولنا العظيم عليه الصلاة والسلام في أحاديثه الشريفة عن أثر الأدعية، وأثر التبتل بين يدي الله، في أحد يخفى عليه ذلك؟ أ عوذ بالله أن يخفى علينا ذلك، لكنَّ هذه العبادة في هذه المحاريب لا بد أن تعمم، فاعبد الله في مِحراب الصناعة ومحراب الزراعة، ومحراب الذّرة ومحراب الإلكترون، ومحراب الإعلام ومحراب الاجتماع، هذه عبادات، هذا الي بيقعد لنا وراء الإعلام هنا وبيقعد لنا الآن وراء النت وهو يعبد الله تعالى من خلال أن يصفّي ما ينبغي أن يقال للناس هذا عبادة من أعظم العبادات، مو فقط العبادة والله أنا الركعتين وراء الشيخ عبد المعطي بتذرف عيوني دمع، اذرف دمع هناك أنت ترى إذا تأثر الناس بالخير والحق واهتدوا إلى هذه الأخلاق الشريفة، هذا من فضل الله عليك وقد دعوت إلى الله، وقلك النبي ﷺ "لأنْ يهدي الله بك رجلا واحدًا خير لك من الدنيا وما فيها" إذن وسعوا معنى العبادة، تجدون بأنكم ينبغي طبعًا، قد يقول قائل يا أخي بس وين صلاته، وين التهجد، وين عباد الرحمن اللي قال عنهن الشيخ، قال لنا الشيخ عن عباد الرحمن، وهدول عباد الرحمن شو بساووا أخي؟ يتهجدون مو هيك، ما بيتهجدوا؟ تمام؟ هذا قسط من جهادهم، قسط من عملهم، وليس كل شيء، عمر رضي الله تعالى عنه كان يقوم من الليل وكان يعسُّ في الليل، هي عبادة وهي عبادة، يتفقد أحوال القوم على أنه يرعاهم ويرعى شؤونهم ويرعى مصالحهم، وهذه عبادة وتهجد في سبيل الله، هذا التهجد، هذه العبادة، هذه الأنواع، هي التي يقول لنا فيها ﷺ وسيدنا أنس بقول لهم سمعوا هالحديث، يعني لما تقولوا أنتو لسيدنا أنس اسمعوا يا جماعة في معي شي هدية كبيرة جدًا أنه، والله أنا لما قرأت الحديث يا شباب سامحوني أخذت ثلاث دقائق زيادة، وقفت أمامه أنا وقفت أمامه، قرأت الحديث وقفت، طيب ليش حتى سيدنا أنس يقول لأحدثكم حديثًا لا يحدثكموه أحدٌ بعدي، طيب هو حديث، فكأنه استشعر سيدنا أنس استشعرت أن سيدنا أنس كأنه بقول افهموا الحديث، هاد الشيء خطير جدًا، لكن العلم إذا ضاع ضاع كل شيء، والله لقيت أنه سيدنا البخاري أشرق في ذهنه هذا

المعنى، وجدته وضع ربيع الرأي هكذا يقول، أنه العلم وين حتضيعوه العلم؟ فلما قريت الحديث هون الشيخ مو حاطه شوفوا أحيانًا بفوت بنسرد الأحاديث، ارجعوا إلى الأئمة الأعلام بتشوفوا عندهم شي عجائب، باب رفع العلم وظهور الجهل، ويروح يقلك سيدنا ربيع الرأي لا ينبغي لأحدٍ عنده شيء من العلم أن يضيّع نفسه، فإذا ضاعت نفسه هنا ضاع المجتمع من ورائه.

جزاكم الله خيرًا بوركتم بورك جمعكم بورك استماعكم، أعتذر إليكم عن أني أطلت عليكم أكثر من الوقت المحدد، لكنْ ممكن إن شاء الله قرض آخذه منكم وإن شاء الله أحسِن السداد، إن شاء الله في الدرس القادم يعني ما أخذته الآن إن شاء الله أسدده لكم في الدرس القادم.